﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

صُحبَةُ الصّالحين تُثبِّتُ المؤمن على الصّراط المستقيم، والفوزُ بها غُنمٌ عظيمٌ

لـمَّا سَأَلَ المؤمنون الله تبارك وتعالى أن يَهْدِيَهُم أشرفَ طريقٍ؛ سألوه أن يَصْحَبوا أحسن رَفِيقٍ، ثم استعاذوا مِن صُحبة الذين شَاهَدوهُم في التِّيهِ سائرين، وعَنِ القَصْدِ زائغين، جَائِرين أو حائِرين فقال: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

الإنعامُ إحسانٌ للعقلاء

1) ﴿أَنۡعَمۡتَ عليهم﴾: أَوْصلتَ النِّعمةَ إِلَيْهِمْ، والإنعامُ: الإِحْسَان، ولا يكون الإنعامُ إلَّا إذا كان الـمُنْعَمُ عَلَيْهِ مِنَ العُقَلاء[2].

والنِّعمة: المنفعة الـمُقَدَّمَةُ إلى الغير على جِهَةِ الإحسان[3].

والمعنى في الآية: مَنَنْتَ عليهم بالهدايةِ والتَّوفيقِ.

الـغَضَبُ في حقِّ المَخلوقِ ثَوْرَانُ دمِ القَلْبِ لقَصْدِ الانتقام، وفي حَقِّ الخالِقِ كَرَاهةُ المغضوبِ عَلَيْهِ والانتقامُ مِنْهُ

2) ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾، الغَضَبُ: ضدُّ الرِّضا، واختلفوا في تعريفهِ في حقِّ المخلوقِ، فقيل: هو ثَوَرَانُ دمِ القَلْبِ لقَصْدِ الانتقام، وقيلَ غيرُ ذلك[4]، أمَّا غضَبُ الله تعالى؛ فَصِفَةٌ لا تُمَاثِلُ صفاتِ المخلوقِينَ، وهي تقتضي: كَرَاهةَ المغضوبِ عَلَيْهِ والانتقامَ مِنْهُ، فالكراهةُ والانتقامُ لَيْسَا همَا الغضبَ، وإنَّما همَا مِنْ آثارِهِ[5].

والـمَغضوبُ عليهم في الآية: الْيَهُود، وَمَنْ شَابَهَهُمْ في تَرْكِ العَمَلِ بِالعِلْمِ.

(1) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 1/45.
(2) الرّاغب، المفردات: (نعم).
(3) الرازيّ، التّفسير الكبير: 1/220.
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: (غضب).
(5) ابن عثيمين، مذكِّرة على العقيدة الواسطيَّة، ص: 23، وابن عثيمين، القولُ المُفِيد: 1/421.

الـضّـلالُ ضِـدُّ الـهُدى، ويكونُ عـن عَـمْـدٍ وغير عمد

3) ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾، الضَّلال: ضِدُّ الهدَى، يُقَال: ضَلَّ في الأمر إذا لم يَهْتَدِ لَهُ[1]، ورَجُلٌ مُضَلَّل: لَا يُوفَّقُ لِخَيْرٍ[2]، ويوصَفُ الإنسانُ بالضَّلالِ، فيقال: هُوَ ضالٌّ، أمَّا الضَّالَّةُ فللبَهِيمةِ؛ وهي الحيوان الضائعُ[3].

والضَّالُّ ضَرْبَانِ[4]:

أحدهما: مَن سلَك طريق الضَّلالةِ عَنْ عَمْدٍ، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الواقعة: 92].

والآخَر: مَن سَلَك طريق الضَّلالة عَنْ غير عَمْدٍ، ومنهُ قولُ اللّه تعالى حكايَةً عن مُوسَى عليه السلام أنَّهُ قال: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: 20].

والضّالّون في الآية: النَّصَارَى، وَمَنْ شَابَهَهُمْ فِي العَمَلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الـنّـبـيّـون والـصّـدِّيـقـون والـشُّـهـداءُ والـصّالحون لا يَشْقى جَليسُهم ولا يَرْدَى رَفيقُهم

الصِّرَاطُ المستقيم الذي سألنَاكَ يَا ربَّنا هِدَايتَنَا إِلَيْهِ هو صِرَاطُ عبادِكَ المُوَفَّقين الذين مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بالهدايةِ والتَّوفيقِ وبسُلُوكِهِمْ إِيَّاه؛ مِنَ النَّبِيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، ولا تَجْعَلْنَا يا ربَّنا مِمَّن سلك طريق المغضوبِ عَلَيْهِمْ؛ وهُمُ الذين عرَفوا الحقَّ وعدَلُوا عَنْهُ ولم يَعملوا به؛ مِنَ اليَهُود ومَنْ شَاكَلَهُم، ولا مِنَ الضَّالِّين وهُمُ الذين عدَلُوا عَنِ الحقِّ جَهْلًا وتَفْرِيطًا في طلَبِ الحقِّ، فعمِلوا وعبَدوا اللّه بلا عِلْمٍ؛ مِنَ النَّصارى وَمَنْ شَابَهَهُمْ[5].

(1) ابن دُرَيْد، جمهرة اللُّغَة: (ضلل).
(2) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغَة: (بَاب الضَّاد واللّام).
(3) الفيُّوميّ، المصباح المنير: (ضلل).
(4) أبو عُبيد الهرويّ، كتاب الغَرِيبَيْنِ في القرآن والحديث: (ضلّ).
(5) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 1/31، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 1/235، والسعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 39، ونخبة من العلماء، التّفسير المُيَسّر ص: 1.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

فائِدَةُ البَدَلِ في ﴿صِرَٰطَ﴾ الثَّانية:

تـكـريـر لـفـظ الصراط لتمكين الـمَـعْـنَـى فِي النَّفْسِ وتأكيده

قوله: ﴿صِرَٰطَ﴾ بَدلٌ من قوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾، وفائدةُ الإبْدَالِ هَهُنَا: التَّوْكِيدُ، وذلك لأنَّ البدَلَ على نيَّةِ تَكرار العامِلِ، والتَّقْدِير: (اهْدِنَا صراطَ الذين أنعمتَ عَلَيْهِمْ)، فكأنَّهم سألوا اللّٰه الهدايةَ مَرَّةً بعدَ أُخْرَى، فكان هذا آكَدَ؛ لِكَوْنِه في قُوَّةِ جُملتين[1].

الإيـضـاحُ بعدَ الإبهام يقعُ على نفسٍ مُتطلّعة فيتمكّن منها

وللبَدَلِ هَهُنَا فائدةٌ أخرى؛ هي: الإيضاح بعدَ الإبهام[2]؛ فإنَّ ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وإن كان معلومًا إلَّا أنَّ اللَّفْظ قد يَدْخُلُه شيءٌ مِنَ الإبْهَام، لا سيَّما وأنَّ مُدَّعِي سُلوكِهِ كُثُرٌ، فجاء الإيضاحُ بالبَدَلِ في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وإنَّما لم يقَعِ الإيضاحُ ابْتِدَاءً؛ لأنَّ الكلام إذَا سيقَ على وجهٍ فيه إبهَامٌ؛ تطَلَّعَتِ النَّفْسُ واسْتَشْرَفَتْ لمعرفةِ تفسيرِهِ وإيضاحِه، فإذا جاء الإيضاحُ بَعْدُ؛ وقعَ على نَفْسٍ مُسْتَشْرِفَةٍ فتمَكَّنَ ذلك منها غايةَ التَّمكُّنِ، واللّٰه أعلم.

فَائِدَةُ إِضَافَةِ ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ إِلَى المُنْعَمِ عَلَيْهِمْ دُونَ تَعْيِينِهِمْ:

إنَّما ساغَ اتِّباعُ المُنعَم عليهم لكونِهِمْ مُنْعَمًا عَـلَـيْـهِـمْ لا لِذَوَاتِهِمْ

وجاءت إضافةُ الصِّراط إلى ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ دونَ التَّصريحِ بأَعْيَانِهِمْ؛ لفوائدَ:

إحداها: أنَّ فيه نفيًا لِلتَّقْلِيد؛ إذْ كان هَؤلاء إنَّما ساغَ اتِّباعُهُمْ لكونِهِمْ مُنْعَمًا عَلَيْهِمْ لا لِذَوَاتِهِمْ.

ثانيها: أنَّ فيه إشعارًا بأنَّ مَنْ هُدِيَ إلى الصِّراط المستقيم؛ فهو مِنَ المُنْعَمِ عليه، ولو ذُكرت أَعْيَانُ المُنْعَم عَلَيْهِمْ لَمَا أفادَ هذا المعنى[3].

---

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/48.

(2) السُّيوطيّ، معترك الأقران في إعجاز القرآن: 1/268.

(3) السّهيليّ، نتائج الفكر، ص: 237.

الذين أنعَمَ اللهُ عليهم يشمَلُ جميع طبقات الـمُسلمين، وهم أصنافٌ

ثالثها: أَنَّ الآيةَ عامَّةٌ في طبقات المسلمين؛ مُسيئِهِمْ وصَالِحِهم، والمُسِيءُ لا يَطْلُب درجةَ العالي حتى ينَالَ التي هي أقربُ إِلَيْهِ، ولَفْظُ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يَشْمَلُ الجميعَ، وجَمِيعُ المأمورين بهذا الدُّعَاءِ يَطْلُبُ صِرَاط الذين أنعم الله عَلَيْهِمْ، وهُمْ أصنَافٌ، كما أَنَّ السَّائلين لِدَرَجَاتِهم أَصْنَافٌ[1].

إسنادُ ﴿أَنْعَمْتَ﴾ إلى الفاعل، وعدم الإسناد في ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾:

خـطـابُ الـلـه تـعـالى بإسناد الـنِّـعـمـة إليه تـعـظـيـمٌ لـه سبحانه

ونُسِبَ الإنعامُ إلى اللهِ ﷻ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وطُوِيَ التَّصريحُ بذلك في ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يَقَعِ الْعَكْسُ بأَنْ يُقَالَ: (صِرَاطَ الـمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ)، وَ(غَيْرِ الذِينَ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ)؛ لوجوه[2]:

أحدُها: أنَّ فيه تَنْبِيهًا على الأدَبِ مع اللهِ تعالى؛ بِنِسْبَةِ الإنعام إِلَيْهِ دُونَ الشَّرِّ؛ (بل أتَى به بِلَفْظِ المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعلُه، فلم يَنْسِبِ الغضبَ إِلَيْهِ على معنى الفاعليَّةِ -وإن كان هو الفاعلَ الـمُخْتَارَ لِكُلِّ شَيْءٍ-، لكن جرتِ العادَةُ في مقام التَّأَدُّب أَن يُنْسَبَ للفاعلِ الخيرُ دون الشَّرِّ[3]، كما وقع نظيرُهُ في القرآن كثيرًا، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشُّورَى: 48]، وقوله ﷻ حكايةً عن الْجِنِّ أنَّهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجِنُّ: 10].

(الـمـغـضـوب عليهم) مُشعِرٌ بالعُموم

ثانيها -وهو أخَصُّ مِن الذي قَبْلَهُ-: أنَّ فيه تعظيمًا لله ﷻ؛ فإنَّ خطاب اللهِ تعالى بإسناد النِّعمة إليه تعظيمٌ له سبحانه، وتركُ خِطابه بإسناد الغَضَبِ إِلَيْهِ تعظيمٌ لذلك الخِطَاب[4].

ثالثها: أنَّ ذِكْرَ الغضبِ بصيغة اسم المفعولِ مُشْعِرٌ بالعُمُومِ،

(1) السّهيلّي، نتائج الفكر، ص: 237.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/38-39.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/38.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 1/146.

فيشمل غضبَه سُبْحَانه وغَضَبَ ملائكتِه وأنبيائه والمؤمنين، وذلك يَفُوتُ إذا قيل: (غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ)[1].

إبـــرازُ ضـمير (أنـعـمـتَ) ذِكـرٌ وشُكرٌ

رابعها: لم يَجِئْ ههنا (صراط المنعَم عَلَيْهِمْ)؛ ليَبْرُزَ ضميرُ المُنْعِم؛ وذلك ذِكْرٌ وشُكْرٌ للّه تعالى بشيئين: القلبِ واللِّسَانِ، فيكون هذا الدُّعَاءُ مَقْرُونًا بِذِكْرِ اللّه وشُكْرِه[2].

خامسها: أنَّ فيه تفنُّنًا في التَّعبيرِ؛ إذِ الكلامُ لو جَرَى على طريقةٍ واحدةٍ كان مَظِنَّةً لسآمةِ السامعِ، وإذا اختلف الأسلوبُ؛ كان أدْعَى لتَفطُّنِ السَّامعِ وإحضارِ ذِهْنِه، كما ذَكَرَ البلاغِيُّون نَظِيرَ ذلك في أسلوب الالْتِفَاتِ[3].

في ذِكْـرِ فاعل الإنـعـام إكـرامٌ لِلمُنعَمِ عَلَيْهِمْ، وفي طَـيِّـه مع الغضب إهانَةٌ لـلـمـغـضـوب عليهم

سادسها: أنَّ في ذِكْرِ فاعلِ النِّعْمة إكرامًا لِلمُنعَمِ عَلَيْهِمْ ورفعًا لقدرهم، وأمَّا حذفُ فاعلِ الغضب ففيه إشعارٌ بإهانةِ المغضوب عَلَيْهِمْ وتحقيرِهم[4].

نِكَاتُ تَقْدِيمِ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ عَلَى ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾:

وقُدِّمَ ذِكْرُ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ على ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ لأَوْجُهٍ:

مُـخـالَـفَـةُ المـغـضـوب عليهم للحقّ أشـدُّ وأقـبـحُ مـن معصية الـضّـالـين عن جهل

أحدها: أنَّ معنى ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بِمَنْزِلَةِ الضِّدِّ للمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ، وأظهَرُ في المقابلةِ بَيْنَهُمَا من مقابلة المُنْعَمِ عَلَيْهِمْ بالضَّالِّين؛ فناسبَ أن يكونَا متضَايِفَيْنِ في الكلام[5].

ثانيها: أنَّ مخالفَتَهُم للحقِّ أشدُّ وأقْبَحُ[6]؛ فإنَّ الذي خالَفَ الحقَّ عَن عَمْدٍ أشَدُّ وأقبَحُ مِمَّنْ خالفه عن جَهْلٍ، وهذا أنسَبُ لمقام الدُّعَاء بالنَّفْيِ[7].

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/39.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/39.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/39.
(4) فاضل السّامرائّي، لمسات بيانيّة، ص: 67.
(5) الطّنطاوي، التّفسير الوسيط: 1/25.
(6) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/20.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/196.

اليـهـود أعـرَقُ في الـزّمـن من النصارى

ثالثًا: أَنَّ المغضوبَ عَلَيْهِمْ - وهُمُ اليَهُودُ أصالةً - أَقْدَمُ زمَانًا مِنَ الضَّالِّين - وهُمُ النَّصَارى بالأصالةِ -، فالتَّقديم مراعاةٌ للزَّمَنِ[1].

اليهودُ أقربُ دارًا

رابعًا: أَنَّ اليهودَ كانوا أَقْرَبَ مكانًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؛ إِذْ كانوا يَسْكُنُون المدينةَ، بخلاف النَّصارى فكانت ديارُهُم بَعيدةً عَنْهُ، فالتَّقديم مُرَاعاةٌ لِلْمَكانِ[2].

خامسًا: أَنَّ تأخير ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ يُحقِّقُ تناسُبَ الفواصِلِ بما لا يُحقِّقهُ تأخيرُ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وهذا الوَجْهُ يُذْكَر اسْتِئْنَاسًا؛ لِمَا تقدَّم مِن أَنَّ البيان القرآنيَّ لا يقوم على مُجَرَّدِ أَمْرٍ لفظيٍّ مَحْضٍ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإِنْعَامُ وَالإِحْسَانُ:

الـمُـحـسِـنُ يُحسِنُ لنفسه ولـغـيره، والإنعامُ لا يكونُ إلاّ من مُنعِمٍ خارجيٍّ

الإنعامُ أخصُّ مِنَ الإحسانِ؛ وذلكَ لأَنَّ الإنعامَ لا يكونُ إِلَّا مِنْ مُنْعِمٍ لِغَيْرِهِ؛ وذلك لتضمُّنِهِ معنَى الشُّكْرِ، ولا يشكُرُ الإنسانُ نفسَهُ، بخلاف الإحسانِ فيجوز أن يَكُونَ مِنْ مُحسِنٍ إِلَى غيرِهِ وإِلَى نفسِهِ، فقد يُحسِنُ الإنسانُ إلى نفسِهِ؛ وذلك لِتَضَمُّنِهِ معنى الحَمْدِ، ويجوز للإنسانِ أن يَحْمَدَ نفسَهُ كما يحمَدُ غيرَهُ[3].

والإنعام أخصُّ مِنَ الإِحْسَانِ مِنْ وجهٍ آخَرَ، وذلك أَنَّ الإنعامَ إحسانٌ وزيادَةٌ، فإِنَّ العربَ تقول: قد أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وأنعمتَ، أي: زِدْتَ على الإحسانِ، وبَالَغْتَ فيهِ[4].

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 2/33.
(2) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 2/33.
(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللغويّة، ص: 193.
(4) ابن سلاَّم، غريب الحديث: 1/141.

مجمع القرآن الكريم بالشارقة

موسوعة التفسير البلاغي

المجلد الأول

من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة